

فماذا تفعل الكلمة المقطوعة عن المادة ، وعن الوحدة الايديولوجية ، بصورتها الصوتية وبالغنى الذي لا ينفذ لأشكالها وفروقها وظلالها وبنيتها النحوية والنبروية المختلفة ، وبتعددية معانيها الشئية والاجتماعية التي لا تنفذ أيضاً ؟ هذا كله لا تحتاجه كلمة العرض ، لأن هذا كله لا يمكن أن يلتحم عضوياً بالمادة ولا يمكن أن يُخترق بالمقاصد . ولهذا السبب يخضع هذا كله إلى تنسيق خارجي اصطلاحي : الصورة الصوتية تسعى إلى الرخامة الفارغة ، والبنية النحوية والنبروية إلى السهولة والدلاقة الفارغة أو إلى التعقيد والتنميق الفارغ هو الآخر ، إلى التزيينية الخارجية ، والتعددية الدلالية إلى أحادية دلالية فارغة . قد يكثر نثر العرض بطبيعة الحال من تجميل نفسه بهجاءات شعرية ، لكنها تكون هنا غير ذات قيمة شعرية حقيقية .

وهكذا يبدو نثر العرض هنا وكأنه يقوّن ويكرس القطيعة التامة بين اللغة والمادة ويجد لها شكل تجاوز اسلوبي وهو شكل اصطلاحي ووهمي . ويصبح الآن بإمكانه (أي هذا النثر) ان يتناول أي مادة من أي مصدر . فاللغة بالنسبة بالنسبة اليه عنصر محايد ، لكنه لطيف ومزوّق مع هذا ، يمكنه من التركيز على جاذبية المادة ذاتها ، على أهميتها الخارجية ، على توتّرها ، على قدرتها على إثارة العاطفة .

في هذا الاتجاه استمر تطور نثر العرض في رواية الفروسية حتى بلغ ذروته في «أماديس» (١) ثم في الرواية الرعوية . إلا أن نثر العرض هذا اغتنى خلال تطوره بلحظات جوهرية جديدة مكنته من الاقتراب من الاسلوب الروائي الحقيقي ومن تحديد الخط الاسلوبي الأساسي الأول

(١) أصبحت « أماديس » ، وقد انفصلت عن قربتها الاسبانية ، رواية عالمية تماما .